استئناف مفاوضات الحكم الذاتي: في أي وقت!

أنيس منصور

التنوير

قال لى شاه إيران منذ أيام . وهو يتحدث عن دور أوروبا الغربية : لا شيء يهم المواطن الغربي سوى أين يقضي إجازته الصيفية أو الشتوية ، وكيف يشترى حاجاته بالتقسيط . أما الدولة فكل الذى يشغلها هو كيف تتفق أقل على التسليح ! . .

ومعنى كلام الشاه أن الدول الغربية لا يهمها كثيرا ما تدعيه من مبادىء رفيعة وقيم سامية . إنما أولا وأخيرا : مصالحها . وعلى أساس المصالح المتبادلة يجب فهم كل شيء .

ولم يشأ الشاه أن يشير إلى نشاط الرئيس الفرنسي ديستان أو كبار المسئولين الإنجليز في الشرق الأوسط . .

ولم يصبح دور الدول الغربية واضحا . إلا بعد أن بدأ يضعف الدور الأمريكي . دوليا وإقليميا . وفي المفاوضات بين مصر وإسرائيل . فدور أمريكا في أفغانستان لا يقل غموضا عن دورها في إيران . وما يقوم به سفيرها ليوفق بين إسرائيل ومصر . أقرب إلى دور الوسيط منه إلى دور الشريك .

وبعض الدول العربية المعتدلة تحاول الآن أن تفعل شيئا مساعدة الدول العربية . وربما كان هذا هو السبب في أن بعض الدول العربية المعتدلة قد أحست أن وقتا طويلا قد مضى دون أن يتحقق شيء . فلماذا لا تحاول أن تضع يدها على كتف فرنسا وألمانيا وبريطانيا . لعل شيئا يتحقق ؟

نعم صحيح أن وقتا طويلا قد ضاع دون أن نصل إلى شيء ؟ لسنا في حاجة إلى أن نعيد ما هو معروف عن معاهدة السلام مع إسرائيل . وقبلها اتفاق كامب دافيد لتحقيق السلام مع كل العرب – وليس مع مصر وحدها – وتحقيق الحكم الذاتي للشعب الفلسطيني .

وكما تحقق السلام مع إسرائيل بالمفاوضة . فلن يكون الحكم الذاتي ممكنا إلا بالمفاوضة أيضا . والتفاوض مع إسرائيل من أجل الحكم الذاتي صعب عليها . فنحن لا نقوى على أن نعطي تنازلات . أو أن نكون على درجة كبيرة من المرونة . . فنحن قادرون على ذلك فيما يخصنا . ولسنا كذلك فيما يخص الآخرين : الشعب الفلسطيني . وفي مفاوضات الحكم الذاتي نواجهها كلمات جديدة المفهوم . فالأمن كلمة قديمة . ولكن تعريفها والاتفاق عليه هو الشيء الجديد . ومعنى كلمة الأمن يتضمن كل تاريخ الشعب اليهودي . فهي ليست كلمة واحدة . إنما هي قاموس سياسي واجتماعي ودبني وتاريخي وعسكري وعنصري . .

ثم إن الدول العربية لم تسهل على نفسها المواقف الصعبة . فبدلا من أن تقف معا ضد إسرائيل . فإنها تركت إسرائيل تضرب . وتفرقت وتفرقت أسوية حسابات قديمة : بين الأردن والشعب الفلسطيني . بين سوريا ولبنان . بين لبنان وطوائفه المختلفة . بين المغرب والجزائر . بين اليمن واليمن . بين الحجاز ونجد . .

والعرب يتفقون على شيء واحد : أن مصر هي السبب . أي أن مصر هي سبب هذا التمزق العربي . فهي التي كانت تجمع العرب . فلما تخلت عنهم انفرطوا كحبات العقد . . ولكن العرب لا يقولون : إن مصر هي التي جمعتهم . أو هي وحدها القادرة على جمعهم . إنما يقولون فقط : هي التي فرقتهم . .

وهو نفس المعنى الذي قالوه على مصر يوم انهزمت سنة ١٩٦٧ ويوم انتصرت سنة ١٩٧٣ . فمصر سنة ١٩٦٧ هي التي انهزمت . والعرب في سنة ١٩٧٣ هم الذين انتصروا . أي : إذا انهزمنا فنحن مصريون . وإذا انتصرنا فنحن عرب ؟ ! . .

فليس صحيحا – إذن – أن يقال إنه قد مضى وقت طويل دون أن يتحقق للعرب شيء . فقد انسحبت إسرائيل من معظم سيناء . وهذا إنجاز عظيم للعرب . وهذا من شأنه

الرئيس كارتر والسيد حسنى مبارك .. عرض الموقف المصرى . واستعراض للمواقف العربية . والبحث عن موعد لعودة المفاوضات .

رئيس تشاد .. جاء يبيع ويشترى . منبى الشطارة الفرنسيه

أن يجعل مصر أقوى وأقدر على المضى فى تحقيق السلام . أو تهيئة الجو لأن يكون سلام . بمساعدة مصر أو بدون مصر . .

ونحن العرب أقل الناس جدارة بالكلام عن الوقت الضائع – فتاريخنا مع إسرائيل هو أحسن نموذج لأسوأ طريقة لإضاعة الوقت . . عاما بعد عام . . للاثين عاما . . وأربع حروب ! . .

❁❁❁

وقد يقال أيضا إن الدور المصرى قد انتهى . فالمصريون قد استردوا أرضهم إلا قليلا حتى هذا القليل لم يعد مشكلة . ولذلك فالمصريون يتراجعون فى قضية الحكم الذاتى . وبعده معاهدة صلح التاريخ الواضح لمصر . فقد الخطة الأولى للرئيس السادات فى الكنيست وهو يدعو للسلام الشامل . ولا سلام بدون فلسطين . ثم إن مصر تدعو جميع الأطراف للمشاركة فى حمل الأعباء . ولا يزال الملك حسين يبعث شرقا وغربا أشكالا وألوانا من رجاله يسألون ما الذى يمكن عمله ؟ . وكيف ؟ ولا داعى للذكر الأسماء والتفاصيل حتى لا يتحداها الملك حسين فريعة للانكماش مرة أخرى . . مع أن دور الملك حسين قد تحدد فى اتفاقية كامب دافيد . وكان ذلك بإصرار من الرئيس السادات . .

وقد رفضت مصر قبل كامب دافيد وبعدها . أن يكون للسلام مع إسرائيل طعم الحل المنفرد . ورغم أن الملك حسين قد تهرب من المشاركة عند اللحظة الأولى . فإن الرئيس السادات قد أصر على دعوة الملك حسين فى أية مرحلة . ولا بد من دعوته . ولكن الملك حسين ليس متعجلا الأحداث . ولا المنظمات الفلسطينية أيضا . .

وبعض الدول العربية المعتدلة قد أحست بغياب الولايات المتحدة . ورأت فى هذا الغياب عجزا أمريكيا عن اتخاذ القرار . وهذه الدول العربية دفعها الفراغ الخيف الذى تركته أمريكا إلى أن تتجه بخوف أشد إلى الاتحاد السوفيتى . ولذلك أحست دول أوروبا الغربية أنها أقرب إلى أمريكا وإلى روسيا . وأن استطاعتها أن تقوم بهذا الدور الذى يرضى أمريكا ويرضى روسيا أو يغضب الاثنين . فأمريكا تفضل أن تقوم الدول الغربية بهذا الدور . وبذلك تبعد الدول العربية عن السوفيت . وروسيا ترى أن الدول الغربية منذ أيام ديجول . ماضية فى تعظيم دورها الدول بعيدا عن الولايات المتحدة.ولذلك فهى ترحب بأن يكون لها أى دور . .

ولكن الدول العربية ليست على وفاق فيما بينها . فهى الأخرى لا تستطيع أن تتخذ قرارا واحدا فى أى شىء . والأمثلة على ذلك كثيرة : إيران وأفغانستان والدورة الأولمبية والقضية الفلسطينية . .

وقد حصلت القضية الفلسطينية على تأييد أدبى عظيم من العالم ومن الاشتراكية الدولية ولكن هذا التأييد لم يدفع بالقضية شبرا واحدا فى أى اتجاه . .

وأقصى ما تستطيعه الدول العربية هو العودة إلى الأمم المتحدة . وإشراك الاتحاد السوفيتى فى إصدار قرار يخول الشعب الفلسطينى فى حكم نفسه بنفسه .

هذا ما أعلنه اللورد كارنجتون وزير خارجية بريطانيا ونائبه بان جيلمور .

وما أعلنته الدول الأوروبية أيضا . واكتفت بهذا الإعلان الأدنى الذى ينبه رفة العروس . ولا يعنى الزواج القائم على التوفيق بين رجل وامرأة ! . .

ولم تستوح أمريكا للدور الأوروبى . أو انعدام الدور الأوروبى . ولذلك أعلن بريزنسكى مستشار الأمن الأمريكى : أن أمريكا قامت بما هو واجب عليها . بقى أن نرى ما الذى سوف تفعله الدول الأوروبية ! . .

ولم تفعل الدول الأوروبية سوى أن قام الرئيس الفرنسى جيسكار ديستان بزيارة دول الخليج . وملأ صدره من راحة البترول . وجيوبه أيضا . فأغضب العرب واليهود معا

أما العرب فرأوا الرئيس الفرنسى تاجرا أنيقا لأروع ما أبدعته فرنسا . وأعلن ياسر عرفات فى إذاعة «أوروبا رقم ١» : أن الرئيس الفرنسى ضحك على ذقون العرب – كأنه هو الوحيد الذى فعل ذلك فى للاثين عاما ؟ !

أما اليهود – فلأول مرة – يتحدون ويتظاهرون ضد الرئيس الفرنسى والحكومة الفرنسية فى عيد انشاء دولة إسرائيل . ولأول مرة يقرر يهود فرنسا أن يتشروا . وأن يكون لهم دور إيجابى ضد الحكومة الفرنسية . ويتوعدون الرئيس الفرنسى فى الانتخابات القادمة . .

ومن أول تصريح للسيد ماسكى وزير خارجية أمريكا الجديد قال إنه يحذر وزراء خارجية الدول الأوروبية أن يفسدوا مفاوضات السلام وروح اتفاقية كامب دافيد ! . .

سعد مرتضى . أبهت الصحف الإسرائيلية . ثم اعتذرت له أمس . والرجل برىء !

شاه إيران . الدول العربية لا تبهجها نهايته

جيولا كوهين . تريد أن يسمع العالم صوت إسرائيل وهي تقر حدا معتدلا .

ولكن العالم كله لا يعرف بالضبط ما يدور بين مصر وإسرائيل في مفاوضات الحكم الذاتي . فالمفاوضات معقدة . وهي تجرى أو تتعثر في ظروف صعبة . محلية أو دولية .

ولكن أهم ما في المفاوضات هو ذلك الحرص من الطرفين على أن تمضي المفاوضات . وأن تكون هناك حركة بين الطرفين . هذه الحركة تدل على إصرارنا على أن نستمر . وتدل على أننا أكبر من الصعوبات .

ولم يكن مفاجأة لأحد أن تتوقف المفاوضات . فقد كانت مفاوضات مدببة هرتسلية لها شكل « القعدة » . وذلك بأن توضع الكراسي في صف واحد . الواحد إلى جوار الآخر . أو الواحد وراء الآخر . ويدور الحديث بأن يلوى كل إنسان عنقه . ويقول أو يسمع ما يقوله الآخرون . فلم تكن هناك مواجهة . إنما هي محاولات مستمرة ليضادي كل واحد رؤية الآخر . ولذلك كان لابد أن تتوقف . وتوقفت المفاوضات .

وليس صحيحا أن السادة بيجين وبورج وبقية وزراء اسرائيل . قد فوجئوا بقرار الرئيس السادات بالوقف لإعادة الحساب وتقويم الموقف من جميع الجوانب .

ثم أعلن الرئيس السادات بعد حديث تليفوني مع الرئيس كارتر . أن المفاوضات سوف تستأنف بعد أن تعلن مصر تصورها الواضح لكل شيء .

وعاد الرئيس السادات يعلن توقف المفاوضات . ودارت الرءوس . وحارت الأقلام والميكروفونات . ولم يعرف العالم ماذا حدث بالضبط . وفقدت بعض الصحف الإسرائيلية عقلها . وطاشت كلمات غير مهذبة عندما أحس بعض الكتاب أن قرارات الرئيس السادات إهانة بالغة لإسرائيل . لأنه يلعب بها . دون أن يلق ردا عنيفا من أحد ؟ ! . .

وليس هذا كله سوى تفسير واحد . هو : أن « الجو العام » في إسرائيل يزداد تشددا . فليست المفاوضات – أو انعدامها – في هرتسلية هي السبب . ولكن تصريحات السادة بيجين وبورج وشارون . والدماء التي أريقت في مدينة الخليل . والتصريحات الاستفزازية عن التوسع في بناء المستوطنات . والاشتباكات بين إسرائيل والقوات الفلسطينية . وأشياء أخرى في المفاوضات .

وفي نفس الوقت كانت إسرائيل تحتفل بمرور ١٣ عاما على إعلان القدس عاصمة موحدة لإسرائيل – أي أن القدس حسب التقاليد اليهودية قد بلغت « سن الرشد » . ولذلك احتفل عمدتها السيد تيدي كوليك مع ٢٢ عقلا ولدوا مع القدس العاصمة . أمام تورتة كبيرة .

وفجأة تقدمت السيدة جيولا كوهين . عضو حزب « البعث الإسرائيلي » . بالاقتراح بقانون : أن تكون القدس عاصمة موحدة لإسرائيل .

ومن حق أي عضو أن يتقدم بأي شيء . كأن يقول إن حاصل ضرب ٢×٢ يساوي حاصل جمع ٢+٢ . وعلى الرغم من أن هذه بديهية . فإن أحدا لا يستطيع أن يرفضها . ووافق الكنيست بأغلبية على إحالة الاقتراح إلى اللجنة القانونية .

والتقاليد البرلمانية تقضي بأن تدرس اللجنة هذا الاقتراح . وتحيله إلى الكنيست لإعادة التصويت عليه . ثم يعود إلى اللجنة للمرة الثانية . وتعيده اللجنة إلى الكنيست . ثم يعيده الكنيست إلى اللجنة . وبعد التصويت الثالث يصبح الاقتراح قانونا .

وكانت الصحف الإسرائيلية قد أعدت مساحة لا تزيد على عشرة سطور . لنشر الاقتراح الاستفزازي الذي تقدمت به السيدة جيولا كوهين . ولكن عندما لقي هذا النبأ رد فعل عنيفا في مصر . أحدث الصحف الإسرائيلية تعيد النظر في هذا النبأ . وتهاجم السفير المصري سعد مرتضى . وتتهمه بأنه لم ينقل صورة صحيحة لحكومته . وأنه وحده المسئول عن ذلك . وانطلقت شائعة تقول : إن مصر قررت سحب سفيرها في إسرائيل .

ودارت مناقشات في مصر بين السادة مصطفى خليل وكمال حسن علي وبطرس غالي .

ورأوا أن اقتراح السيدة جيولا كوهين . ليس إلا محاولة غامضة متعمدة لتأكيد المواقف الإسرائيلية القديمة ! . .

وكان التحوف المصري قد جاء من أن لدينا تصورا بأن « القوانين الأساسية » التي لها قوة الدستور في إسرائيل . تبدأ بمثل هذه الاقتراحات إلى الكنيست . ومعنى ذلك أنه لن يمضي وقت طويل حتى يكون هذا القرار دستورا يدوس على عنق أية حكومة قادمة . وعلى ذلك فلا معنى لمفاوضات الحكم الذاتي ! . .

ولكن إسرائيل مثل بريطانيا دولة بلا دستور . بل لا تزال القوانين في إسرائيل من مخلفات الانتداب البريطاني والحكم العثماني . ثم إنه لا يمكن أن يصبح قانونا أساسيا إلا الاقتراحات

الى تتقدم بها الحكومة . وليس ما يتقدم به أعضاء الكنيست ؟ . .

ولكن ، الخوف العام ، هو الذى جعل مثل هذا الاقتراح يبدو كما لو كان قانونا أساسيا نافذا ؟ ! أى أن ، الخوف العام ، بين مصر وإسرائيل ومناقشات الحكم الذاتى هى التى جعلت من الجبة قبة ! . .

وجعلت مثل هذه المناورة الدبلوماسية وزن وحجم ، الشروط المسبقة ، للمفاوضات بشأن القدس والضفة الغربية والحكم الذاتى . .

ثم عادت مصر ، وشرحت أن سوء فهم بعض الكلمات قد أدى إلى اتخاذ قرار التوقف الأخير . ولكن الغموض والتشدد واليأس قد أصاب الجميع . ولذلك لابد من أن يمضى بعض الوقت .

وبعث الرئيس السادات برسالة إلى الرئيس كارتر . ثم برسالة أخرى إلى السيد بيجين . وكان فى النية أن تبعث مصر بهذه الرسالة إلى إسرائيل عن طريق السفير الأمريكى . ثم صححت هذا الإجراء الغامض باستدعاء السفير الإسرائيلى د . بن اليسار . وكان فى النية إرسالها يوم السبت . وهو إجازة إسرائيل الرسمية . والإجازة المقدسة عند السيد بيجين . ثم عدلت مصر واستدعت السفير يوم الأحد . .

وانتهز السيد متاحم بيجين هذا الموقف . ليشير فى رسالة بعث بها إلى الرئيس السادات إلى « أن مجلس الشعب المصرى قد اتخذ قرارات واضحة بشأن القدس والضفة الغربية . وذلك فى أول أبريل الماضى . وعلى الرغم من قرار مجلس الشعب . فإن اسرائيل لم تجد فى هذا القرار ما يمنعها من المفاوضات » . .

« فقد أعلن مجلس الشعب المصرى : أن القدس جزء لا يتجزأ من الضفة الغربية . وأنه لابد من احترام الحقوق العربية التاريخية والدينية للقدس . ويطالب باستعادتها كاملة . وأن كل الإجراءات التى اتخذتها إسرائيل لتهويد المدينة باطلة . وأنه لابد من تطبيق قرارات مجلس الأمن الخاصة بالقدس . وأن من حق سكان القدس العربية أن يشاركوا فى إقامة سلطة الحكم الذاتى . وأن تكون القدس العربية مقرا للحكم الذاتى الفلسطينى الكامل . .

ويقول السيد بيجين فى رسالته إلى الرئيس السادات : إنه رغم صدور هذا القرار من مجلس الشعب . فإنه لم يتخذ منه سببا لوقف مفاوضات الحكم الذاتى . . ولا أعتبره شرطا مسبقا » .

والجانب الإسرائيلى لم ير موقف مجلس الشعب هذا . لأنه معروف قبل ذلك . ولأن هناك مشاكل معقدة بين الدولتين . لا يضيف إليها كثيرا مثل هذا القرار الوطنى . .

وفى نهاية رسالة السيد متاحم بيجين طلب من الرئيس السادات أن يقرر متى تبدأ المفاوضات . لأنه هو الذى قرر وقفها . .

وقد سألت السيدة جيولا كوهين عن سر هذا الاقتراح الذى تقدمت به فقالت لى : إننا أردنا فقط أن يسمع العالم كله صوت الكنيست وهو يعلن أن القدس عاصمة إسرائيل . وأنها غير قابلة للتفاوض ! . .

وفى واشنطون التقى د . مصطفى خليل بالسيد سول ليفوتس لمدة ثلاث ساعات . ثم التقى الاثنان بالسيد ماسكى وزير الخارجية الجديد . وناقشوا قرار مصر بوقف المفاوضات .

وأخرج د . مصطفى خليل من جيبه النص العربى لقرار مجلس الشعب . ثم ترجمه إلى الانجليزية .

وأعلن السيد ليفوتس أنه قد جاء فى رسالة السيد بيجين إلى الرئيس الأمريكى : أن الموقف الأخير للكنيست . ليس إلا ردا على موقف مجلس الشعب المصرى .

ألا يدل ذلك على أن الحكومة هى التى دفعت السيدة جيولا كوهين إلى تقديم مثل هذا الاقتراح ؟ !

ولكن د . مصطفى خليل أبدى تخوفه من أن يتحول المشروع أو الاقتراح الذى وافق الكنيست على احالته إلى إحدى اللجان،فيصبح قانونا . وقال د . مصطفى خليل : من يضمن لنا أن هذا الاقتراح سوف يدفن فى إحدى اللجان . أو يظفر من اللجنة إلى الكنيست إلى اللجنة ؟ !

بقى الدور الأمريكى . . فقد أحس الطرفان – مصر وإسرائيل – أن سول ليفوتس . كان وسيطا مهذبا . ولم يكن شريكا كاملا . .

والوسيط الأمريكى يعرف مقدما . أنه هو الشخص الذبيح الوحيد عند الطرفين . فإذا ضغط على إسرائيل . استراحت مصر وغضبت إسرائيل . . وإذا ضغط على مصر . استراحت إسرائيل وغضبت مصر . .

ولا تستطيع أمريكا أن تغضب مصر . ولا أن تغضب الناخب اليهودى . . ولم تهتد أمريكا بعد إلى إرضاء كل العرب .

وإذا كان فى استطاعة أمريكا أن تفعل شيئا قبل انتخابات الرياسة وأثناءها . فهو أن تبقى المفاوضات دائرة . أو متنقلة بين الإسكندرية وهرتسليه طوال هذا الصيف . ولابد أن تتباعد اللقاءات بين الأطراف الثلاثة . إلى أن تحتفل بالرئيس الجديد لأمريكا . وأثناء الاحتفال بالرئيس الجديد . لابد أن تعطيه بعض الوقت ليستريح ويرتب البيت . .

وسوف يتضح الموقف تماما بعد محادثات « كارتر – مبارك » .

وقد سافر السيد حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية ومعه « عرض واضح للموقف المصرى الإسرائيلى . وللمواقف العربية المختلفة » .

وسوف يعرض السيد حسنى مبارك على الرئيس الأمريكى كارتر « عددا من البدائل . أو عدة خيارات لاستئناف المفاوضات بين مصر وإسرائيل من أجل الحكم الذاتى » . .

وسوف يناقش السيد حسنى مبارك مع الرئيس الأمريكى كارتر . محاولات بعض الدول العربية أن يكون لها دور فى مرحلة متأخرة .

والسيد حسنى مبارك يعلم مقدما مدى ما تستطيع أمريكا أن تقوم به فى هذا الوقت الضيق حتى نوفمبر القادم .

ويعلم مقدما أهمية استئناف المفاوضات عند كل الأطراف . خاصة عند أمريكا . .

ولذلك فمن المتوقع أن تستأنف مصر المفاوضات مع أمريكا وإسرائيل فى أى وقت .

وإن كان « الخوف العام » سوف يبقى مخيما بالعيوم . لأن أحدا لا يقوى على تحمل مسئولية « تجميد » المفاوضات وقطعها . ثم إن أمريكا ليست فى حاجة إلى مثل هذا الفشل . وكذلك الدول العربية إذا أرادت أن تساهم بشىء، فلن تقوى على إنجاح هذه المفاوضات . دون مساعدة من أمريكا ! .